

الظل المديد

دروس من حياة داهية العلماء أبي عبيد رحمه الله

كتبه محب العلم الشريف

مسعود بن محمد بن مسعود المقبالي الصحاري عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه ، ، أما بعد

فلقد شرفني القدر السعيد بأن دعيت في الثالث والعشرين من ذي القعدة عام ستة وأربعين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أخينا الشيخ عامر بن سعيد السلمي لإلقاء محاضرة في مكتبة الشيخ العلامة حمد بن عبيد السلمي رحمه الله عليه ، وقد طلب مني أن يكون موضوع المحاضرة هو عن العلامة أبي عبيد حمد بن عبيد السلمي رحمه الله تعالى وجهوده الإصلاحية في عهد الإمامين الرضيين سالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبد الله الخليلي رضوان الله عليهما ، وقد كان الطلب مفاجئاً لي ، وذلك لأنني لم أكن أعددت له عدته ، لا سيما وأن مادة المحاضرة تتطلب تحضيراً ورجوعاً إلى مصادر تستقي منها ، فبقيت حبيس العجز عن ذلك حتى وافيت وقت المحاضرة واجتمع الناس وليس في جعبتي ما أقوله ، فقلت ما يسره الله آنذاك من كلام حول العلم مطعماً ببقايا مطالعات قديمة عن الشيخ أبي عبيد وحياته ومؤلفاته ، بيد أنني شعرت بالتقصير الكبير في حق الشيخ وسيرته ، فبقيت ليلتي أكفر عن ذلكم التقصير حتى انشق الفجر ومع انشقاؤه رفعت البنان عن هذه الرسالة الوجيزة الموجزة حول بعض الدروس من سيرة العلامة أبي عبيد السلمي رحمه الله ورضي عنه ، وقد سميتها الظل المديد ، دروس من حياة داهية العلماء أبي عبيد ، سائلاً الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يلحقني بالصالحين إنه تعالى أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.



◆ إعلان ◆

مكتبة الشيخ العلامة حمد بن عبيد السليمي
محاضرة للشيخ مسعود المقبالي، عنوانها:
✨ * العلامة حمد السليمي - رحمه الله - وجهوده في
الدعوة والإصلاح في عهدي الإمامين الخروصي
والخليلي - رحمهما الله - *
17
اليوم الأربعاء
٢٣ ذو القعدة ١٤٤٦هـ جري
بعد صلاة المغرب مباشرة

يسر مكتبة الشيخ العلامة حمد بن عبيد السليمي الأهلية العامة بسمائل تدعوكم لمحاضرة ثقافية بعنوان

الشيخ العلامة حمد بن عبيد السليمي
رحمه الله وجهوده في الدعوة
والإصلاح في عهد الإمامين الخروصي
والخليلي رحمهم الله



للشيخ الداعية مسعود بن محمد المقبالي

الأربعاء 23 من ذي القعدة 1446 للهجرة
الموافق 21 من مايو 2025

بعد صلاة المغرب مباشرة

قاعة متعددة الأغراض بالمكتبة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً ، و{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
(١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا
{ [الفرقان: ١ ، ٢] ، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً
منيراً ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..
أما بعد..

العلماء أحياء :

فإن التفاف الناس والتفاتهم لسير علمائهم وأخبار فقهاءهم وفضلائهم وأعلامهم لهو من أدل الدلائل وأوضح
البيّنات على أن العلماء أحياء وإن عمهم الفناء ، فهم وإن لا يغيبون بغياب أجسادهم تحت أطباق الثرى ، وإنما
يبقون أحياء ، لأنهم خدموا الحي جل جلاله بخدمة دينه الذي هو سر الحياة الكاملة ، والذي قال عنه عز وجل
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] {أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا
لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام: ١٢٢] ، وفي هذا المعنى يقول
الإمام علي بن أبي طالب فيما يروى عنه شعراً :

ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم : على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه : والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففر بعلمٍ تعش حياً به أبداً : فالنأس موتى وأهل العلم أحياء

ويقول نور الدين السالمي رحمه الله تعالى :

ومعدن التقوى قلوب العلماء : قد عرفوا فالتزموا ما لزموا

فهم وإن عمهم الفناء : بما روينا عنهم أحياء

ومن عداهم فهم الأموات : وإن يكونوا بيننا ما ماتوا

وفي مسألة نظمية بائية وجهها أديب عمان وشاعرها الكبير عبد الله بن علي الخليلي إلى شيخه العلامة أبي عبيد السلمي رحمه الله تعالى مطلعها :

ما لي وللخرد البيض الرايب : سود الغدائر بضات رعايب

كأنها وهي تمشي في غلائلها : دمي تهادى على خضر الجلايب

يقول :

يا ساهر الطرف مشغوفاً بها أبداً : هلا شغفت بمحفوظ ومكتوب

هذي البسيطة مات الناس كلهم : من عهد آدم من مرد ومن شيب

سوى العلماء العاملين فهم : أهل الحياتين في رحب وترحيب

هم الألى لم تزل فينا مآثرهم : كالغيث أردف شؤبوا بشؤب

هم الأولى دوخوا الدنيا بهمتهم : وأمنوها بمسفوك ومصبوب

طورا تراهم رهابينا وآوته : أسود غاب على جرد سلاهيـب

جزاهم الله أضعافاً مضاعفة : من الجزاء بدار الأنس والطيب

ضرورة العناية بسير العلماء :

وسير العلماء حقيقة بالاعتناء ، وكيف لا وهم من عظم الله شأنهم وأعز مقدارهم ، وبين عظيم كرامتهم ، وجعلهم ثالث الشهداء على وحدانيته تعالى فقال {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨] ، ورفع درجاتهم فوق درجات غيرهم من المؤمنين فقال {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١] ، وجعلهم ورثة الأنبياء ، ومعلوم أنه لا أعظم من مرتبة الأنبياء ، فلا أعظم من مرتبة ورثة تلك المرتبة ، وفي سنن الترمذي عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَهُوَ بِمَشَقٍّ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ:

لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا [ص: ٤٩] سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافٍ».

عمان ولادة العلماء :

وإن من فضل الله تعالى على عمان أنها أم ولود للعلماء العاملين والفقهاء والصالحين ، فما من زمن من الأزمنة إلا وتجد عمان فيه غاصة بفحول العلماء والفقهاء النبهاء.

ولقد عم فضل علمائها حتى بلغ عواصم العلم والفكر والثقافة والأدب في عصور توهجها ، فهذه مدينة البصرة الشماء ، والتي هي قبلة جهاذة العلماء كانت لعلماء عمان أيادهم البيضاء وحضورهم الكبير فيها.

ففي زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان قاضي البصرة التابعي كعب بن سور العماني ، فلقد أسند إليه أبو حفص رضي الله عنه قضاء البصرة بعد أن اتضح له غزير علمه وجليل حكمته.

وكان مفتي البصرة التابعي الكبير العماني أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي رضوان الله تعالى عليه ، وذلك بشهادة إياس بن معاوية ، فلقد قال : أتيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد.

وفي البصرة عاش العلامة الإمام اللغوي منشيء علم العروض وصاحب الفضل في إنشاء أول معجم لغوي ، شيخ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي العماني ، وذلك في القرن الثاني الهجري.

وعاش فيها كذلك العلامة الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن بن دريد العماني صاحب كتاب جمهرة اللغة ، وصاحب القصيدة المقصورة التي ما سمع الزمان بمقصورة مثلها ، وذلك في القرن الثالث الهجري.

وعاش فيها الإمام اللغوي الكبير أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، صاحب الكتاب الشهير " الكامل في اللغة والأدب " ، وكان ذلك كذلك في القرن الثالث الهجري.

وفي القرن الخامس عاش في البصرة واستقر بها برهة من الزمن العلامة الطبيب الفقيه الكيميائي أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري ، والذي يعد معجمله في الطب هو أول معجم طبي في العالم ، غير أنه لم يستقر في البصرة أبدا ، وإنما انتقل الأندلس والتي كانت هي الأخرى آنذاك عاصمة من عاصم العلم والفكر والإبداع والأدب.

هذا هو عطاء عمان خارج قطرها ، فما بالكم بالداخل ؟! إن المتتبع للتاريخ العلمي لعمان يجده حافلا بجيوش بل بحافل من أهل العلم في شتى الفنون ، حتى أنه لم يخل زمن من أزمنتها من علماء كرماء.

العلامة الشيخ حمد بن عبيد السليبي رحمه الله :

ومن بين العلماء الذي تفخر بهم عمان العلامة الكبير والفقيه النحرير والمصلح الخبير الشيخ القاضي أبو عبيد حمد بن عبيد السليبي السائل رحمه الله تعالى ، ذلك العلم الشامخ والطود الباذخ الذي لا يشق له غبار في العلم والعمل.

عناية الشيخ بالنسب الديني :

من الأمور التي قل أن يهتم بها طلبة العلم اليوم هي نسب الدين ، وهي تلك الطبقات من أهل العلم الذين نقلوا الدين من مصادره الأولى إلى أن وصل إلى الناس اليوم طبقة عن طبقة مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " يحملُ هذا العلم من كلِّ خلفٍ عدولُه ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين "

ولقد اعتنى علماؤنا بهذا النسب حتى أنهم كانوا يدونون نسب الدين في آثارهم ويبينون للناس أنهم إنما أخذوا دينهم عن مصادره الصحيحة ، يقول صاحب كتاب القضاء في المغرب الإسلامي : " أمّا الإباضية فإنَّ علوم العقيدة والحديث والفقه والسير تروى عندهم ثقة عن ثقة ، وهو ما عرف به "سلسلة نسب الدين" مصطلح إباضي مغربي خالص حافظ عليه العلماء الإباضية بالمغرب ، واهتمُّوا به أئمةً اهتمام ، لأنَّه يعتبر الركيزة في حقيقة المذهب الإباضي وحقيقة رواته ، وبالتالي هو الدليل عندهم أنَّهم الفرقة الناجية لأنَّها التي على سَنَةِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم تبدل ، ولم تتأثَّر بالأهواء السياسيَّة تأثَّر غيرها من الفرق والمذاهب "إ.هـ

يقول الإمام عبد العزيز الثميني رحمه الله تعالى في كتاب الفذ التاج المنظوم : " الباب الرابع والعشرون

في رفع مذهب أهل الحق والدعوة والاستقامة ورجاله من المشرق ، وقد رفعه - قيل - الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البسيوني ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، وسعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ؛ ومن كان بعصرهم ، عن موسى بن علي ومحمد بن هاشم ، ومحمد بن محبوب ؛ ومن كان بعصرهم ، عن هاشم بن غيلان ، وموسى بن أبي جابر ، وهو جدُّ موسى بن علي ، ومنير بن النير ، وسليمان بن عثمان ، ومحبوب بن لرحيل البصري ، ومن بعدهم عن الربيع بن حبيب البصري ، وخلف بن زيَّاد البحراني ، وشبيب بن عطية العامي ، ومن بعصرهم ، عن الجلندي بن مسعود ؛ وعبد الرحمن بن رستم الفارسي من أئمة المغرب الحاملين إليه العلم ، وجعفر بن السَّكَّ ، ومن بعصرهم ، عن المختار بن عوف العامي ، وعبد الله بن يحيى الحضرمي ، وعلي بن الحصين ، وهلال بن عطية الخراساني ، ومن بعصرهم ، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وفروة بن نوفل ، وداع بن عويرة ، ومن بعصرهم ، عن عبد الله بن إباض ، وعروة بن حدير ، وأبو بلال مرداس بن حدير بالحاء المهملة ، ومن بعصرهم .

عن جابر بن زيد الأزدي الحمدي ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن صوحان العبدي ، ومن بعصرهم ، عن عبد الله بن عباس ، وخزيمة بن ثابت ، ومحمد وعبد الله ابنا بديل بن ورقاء الخزاعيان ، وعَمَّار بن ياسر ، وبلال ، وصهيب ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد

الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو ذر الغفاري، وعائشة أم المؤمنين، والخليفةتان: أبو بكر، وعمر، والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

عن النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل الأمين عن الله رب العالمين.

وفي بيان الشرع [ج ١/ص ٦٤]: "الفصل الثالث في ذكر بعض الفقهاء ، قال أبو عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله، في جوابه إلى إمام أهل حضرموت أحمد بن سليمان، نيابة عن الإمام الصلت بن مالك رحمهما الله في بيان من أخذ عنهم علماء المذهب، منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وحذيفة بن الياني، رحمة الله عليهم، وأمثالهم كثير، ثم من بعدهم عبد الله ابن وهب الراسي وحرقوق بن زهير السعدي وزيد بن حصن الطائي وأشياهم وأتباعهم، والمرداس بن حدير وعروة بن حدير وطراف وقريب والزحاف، والإمام في العلم والدين يومئذ جابر بن زيد رحمه الله، ثم أبو عبيدة وأبو نوح وحاجب وصحار وجعفر والحتات وأبو الحسر وضام وعبد الله بن يحيى والجنلدي بن مسعود والمختار وبلج وأبرهة والربيع وعبد الله بن القاسم ووائل ومحبوب وأبو المهاجر وبشير وموسى ومحمد رحمهم الله، وأتباعهم وخلفاؤهم وأمنائهم على العلم بعدهم.

فهؤلاء أئمتنا ودعاتنا والأمناء على ما حملوه أو حمل عنهم، هذا وقد ذكر غيره من الفقهاء مسبحا وخالد ابن سعوه وأبا عثمان سليمان بن عثمان والوضاح بن عقبة وعمر بن المفضل وعبد المقتدر ومحمد بن هاشم "إ.هـ

ولقد كان العلامة السليبي رحمه الله واحدا من أولئك العلماء الأجلاء الذين عُتوا بشأن نسب الدين وانتسابه ، فصوب همته لأخذ العلم عن لهم نسب فيه ، وهم من يتصلون في أخذ العلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما ذكره عنه في جوابه النظمي على سؤال الشيخ عبد الله بن علي الخليلي تحدثا بنعمة الله تعالى إذ يقول له في مستهل جوابه :

هاك الجواب بتوضيح وتصويب : يضيء كالشمس فيه كل مطلوب

نرويه عن صحبنا نورا على علم : يروونه مسندا عن خير مصحوب

عن شرع أحمد روح القدس أنزله : إليه من ربه يا خير موهوب

فلقد ييم وجهه شطر السند والنسب العالي ، فنهل من علم العلامة الشيخ أحمد ابن العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي رحمت الله عليهما ، وهو بهذا تكون بينه وبين المحقق واسطة واحدة هي ابن المحقق ، وأخذ كذلك عن بحر العلم الزاخر في زمانه نور الدين عبد الله بن حميد السالمي رحمه الله تعالى ، ومن هذا الطريق تكون بينه وبين المحقق واسطتان ، إذ أن نور الدين أخذ العلم عن العلامة صالح بن علي الحارثي رحمه الله ، وهو أخذه عن المحقق الخليلي.

والمحقق سعيد بن خلفان موصول بنور العلم المحمدي والكوثر النبوي من طريق العلامة الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي ، والعلامة ناصر موصول به عن طريق أبيه العلامة الرئيس جاعد بن خميس الخروصي ، والشيخ جاعد موصول به عن طريق العلامة الشيخ سعيد بن أحمد الكندي ، والعلامة الكندي موصول به عن طريق العلامة سعيد بن بشير الصبحي ، والعلامة الصبحي موصول به عن طريق العلامة صالح بن سعيد الزامل ، وهكذا يستمر هذا النسب والسند إلى أن يصل إلى العلامة الشيخ أبي الحسن البسيوي ، والذي تلقى هذا النور عن شيخه العلامة أبي محمد بن بركة البهلوي ، وهو تلقاه عن شيخه محمد بن محبوب بن الرحيل ، وهو تلقاه عن أبيه محبوب ، ومحبوب تلقاه عن شيخه الإمام أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي ، وهو تلقاه عن الإمام الكبير التابعي العلم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وهو تلقاه عن إمام التابعين وسيدهم أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي ، وهو تلقاه عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كابن عباس وعائشة وأنس وأبي سعيد وأبي هريرة وأضرابهم ، وهم تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عن جبريل عليه السلام ، وهو عن اللوح المحفوظ عن رب العزة والجلال..

وبهذا نعلم أن العلامة السلمي ورث التركة المحمدية من مصادرها النقية ومسالكها المرضية وأسانيدھا العلية ، فنال عظيم البر والبركات.

ولقد ذاق رحمه الله من نغمة العلم أرقها وأرقاها ، وهو ما عبر عنه بقوله :

من يلزم العلم في الدنيا ينل شرفا : من ربه في حياته وتقريب

فحث غيره على تحصيله والجد فطلبه فقال ناصحا :

هو العلم فاطلبه على القرب والنوى : بلا ملل والله مع كل طالب

هو العلم لا تبتغ نضارا وعسجدا : به فهو أعلى من جميع المواهب

عليك به تظفر بكل كرامة : بصرف الحياتين الدنا والعواقب

رعى الله قوما لا يريدون غيره : فنالوا به في الله أسمى المراتب

وقال :

أدعوك حثا على نيل العلوم هدى : فقم وسارع تنل ما أنت طالبه

فكل من يخطب العليا بلا تعب : لم يحظ منها ولم تنجح مآربه

والعلم خير جليس للفتى أبدا : يأبى الدناة ويسمو منه صاحبه

عليك بالعلم إن العلم نور هدى : يهدي به الله عبد الله قد يراقبه

أنواره أشرقت في كل ناحية : كأنها البدر لا نقص يصاحبه

بالعلم يرقى الفتى فوق السماء علا : والعلم أشرف شيء عز جانبه
ويكرر رحمه الله تغنيه بمناقب العلم وفضائله التي لا تحصى حاضا طلابه على نبيله والجد في كسبه فيقول :
بفضل العلم تنتعش الحياة : وتنفتح الأمور المغلقات
ومتليء البسيطة منه نورا : وتنفرج الخطوب المعضلات
وغرس العلم يثمر كل خير : نتأججه المحامد والشبائث
ونبت الجهل يثمر كل شر : حصائده سموم قاتلات
تمسك بالعلوم تكن رفيعا : وجيها بيد تغبطك السراة
ويقول :

من رام نيل المجد يبذل نفسه : ويروضها سعيا لأكرم منهج
فالمجد في طلب العلوم ونيلها : فاحفل به وانهل إليه وعرج
فإذا فعلت بنيت حصنا باذخا : فوق المجرة معرجا في معرج
حلية العلم العمل به :

وقد أدرك العلامة السليبي أن حلية العلم العمل به ، وأنه لن ينتفع بالعلم محمّا تبخر فيه إلا من عمل به
، ففي مسند الإمام الربيع عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَعَمِلَ بِهِ حَسَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمَنًا، وَيُزَرَّقُ الْوُرُودَ عَلَى الْحَوْضِ»
وأتبع العلم الشريف بالعمل : ففي افتراق ذين موضع الزلل
تدوينه للعلم :

فما كان من العلامة السليبي إلا أن شمر عن ساعد الجد ليكون من أهل العمل بالعلم ، فاستل يراعه
من غمده ليحبر العلم ويبقيه بعده معلما لمن أم سواء السبيل ، فلقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " ، وفي
تدوين العلم يقول الشيخ أبو سرور الجامعي :

وقد أتى من دون العلم استمر : ثوابه ما لاح نجم أو قر

فبدأ في تدوينه للعلم برأس العلم ، فألف في التوحيد شرحا مختصرا لأنوار العقول ، ثم ألف كتابا في
التوحيد سماه الشمس الشارقة وألف كتاب العقد الفريد شرح الدر النضيد في خالص التوحيد ، وألف في أصول
الفقه كتاب مشكاة الأصول ، وهو كتاب لم يكتب له التمام ، وألف قلائد المرجان ، وهو عبارة عن أجوبة فقهية

نظمية أجاب عنها الشيخ ، والعقد الثمين في أحكام الدعاوى واليمين ، وكتاب هداية الحكام إلى منهج الأحكام ، وألف كتاب الإرشاد في الحج و”خزانة الجواهر في الفقه“ ٥ أجزاء ، وألف في الرقائق كتاب بهجة الجنان في وصف الجنان وكرسي الفرائض في الموارث وهداية المبصرين في فتاوى المتأخرين وهناك كتب أخرى مفقودة للشيخ.

جهوده الإصلاحية :

وإلى جانب جهود الشيخ في التأليف كانت له جهود الإصلاحية الميدانية ، مما يدل على عظيم همته وتوقد عزيمته ، فكأنه عن نفسه وهو يقول :

لله در رجال للكمال سعوا : برفرف وبراق خير مركوب

لا يلحق القوم إلا من له نجبٌ : كالبرق في سيرها لكن بترتيب

على أن الشيخ كان شديد الغيرة على أمته شديد التأسف والتوجع على ما آلت إليه أحوالها من تقهقر وذلك وضعف ، وتأمل قوله في هذا :

أسفت على بني الإسلام لما : تأخر شوطهم وهم الهداء

غدوا أيدي سبا بين البرايا : تصيدهم الجوارح والبراة

إذا نام المراقب والمحامي : تلحمت السباع الضاريات

وإن رجلا يحمل هم أمته لا يهدأ له بال وهي تعيش أسوأ حال ، ولذلك قام بدوره الأتم في النهوض بأمته وإصلاحها. تصديه للتعليم :

من جهوده الإصلاحية الميدانية تصديه للتعليم ، فلقد أقام الشيخ حلقة علمية خرجت جهابذة العلماء ، ويكفي أن من جملة تلاميذه :

١. العلامة الكبير الشيخ أبو يحيى خلفان بن جميل السيابي رحمة الله عليه ، ذلك البحر الذي تفجر العلم من بين أضلاعه ، فنظم الشرع في أرجوزة مكونة من ثمانية وعشرين ألف بيت شعري ، نظم فيها كتاب النيل للعلامة الثميني ، وقد قال في أوله :

وبعد فالعبد يقول طالما : نظرت في مصنفات العلماء

فلم أجد سفرا لنا في المذهب : كالنيل يجلو ضوءه للغيب

فإنه كإسمه بحر زخر : حوى من العلم نفائس الدرر

أجاد في ترصيعها والسبك : مثل اللآلي رصعت في السلك

عن وصمة الإخلال طرا عاري : خال عن التعقيد والتكرار

لكنه للمبتدين صعبُ : يقف محتارا لديه اللب

لكثرة اختصاره والحذف : مع مواءمة ضمير العطف

فقمتم في نظامه مشمرا : لعاه بعد الخفا أن يظهرها

وأسأل الرحمن أن يوفقا : قولي وفعلي للصواب مطلقا

ومن أجل تلاميذ هذا الشيخ الكبير العلامة المربي حسنة الزمان حمود بن حميد الصوافي حفظه الله ، هذا العالم الكبير والمصلح العظيم الذي تربى على يديه اليوم أكابر الدعاة والعلماء والمصلحين بعمان بل وخارجها.

٢. الشيخ العلامة الفقيه الفذ النادرة سعيد بن خلف الخروصي رحمه الله تعالى ، والذي كان يشغل منصب مساعد المفتي العام لسلطنة عمان ، وذلك بعد أن تولى منصب القضاء في عدة ولايات ، وكان مرجعا لكبار العلماء والقضاة في زمانه ، وم رأيت شيخنا العلامة حمود الصوافي يرجع إليه في معضلات المسائل ، وكذلك رأيت العلامة الشيخ القاضي سالم بن حمد الحارثي رحمه الله يراجعه ، ومما يدل على جلالته قدره نظمته البديع لكتاب الوضع ، والذي ألفه العلامة الإمام أبو زكريا الجنائوني رحمه الله تعالى ، فكان نظما بديعا شيقا.

ولقد حدثت أن الشيخ حمد رحمه الله كان إذا بلغه أن الشيخ الخروصي قادم إليه ضرب بعصاه ، وقال لمن حوله من الطلبة جاءت المسائل جاءت المسائل.

٣. العلامة القاضي الشيخ سالم بن حمود السيابي رحمه الله ، وهو من علماء عمان الكبار وقضاتها الأخيار ، ويكفي شاهدا على ذلك أنه نظم الشرع في مئة وعشرين ألف بيت ، وهو كتاب إرشاد الأنام في الأديان والأحكام والذي طبع في خمسة مجلدات ، ثم أتبعه بكتاب العقود المفصلة في الأحكام المؤصلة في ثلاثين ألف بيت ، قال عنه :

وقد جعلته أخ الإرشاد : ينفع فيه صالح العباد

ويقال إن عدد مؤلفات هذا الشيخ قد بلغت الخمسين عنوانا أو تزيد ، غير أن كثيرا منها وللأسف الشديد قد فقد ، والله الأمر من قبل ومن بعد.

٤. القاضي الفقيه الشيخ أبو سرور حميد بن عبد الله الجامعي ، وهو قاض وفقه فذ ، دل على رسوخ قدمه كتابه النظمي الذي سماه " الفقه في إطار الأدب " ، وهو كتاب طبع في مجلدين ، كل مجلد يشتمل على جزأين ، ثم إن الطلبة رأوا فيه صعوبة ، فطلبوا من الشيخ أن ييسره لهم ، فنظمه في أرجوزة بديعة سماها بغية الطلاب ، وقد قدم له بمقدمة ذكر فيها رحلته ومسيرته في طلب العلم وكفاحه في تحصيله.

وقد خاطب الشيخ أبو عبيد تلميذه أبا سرور في صدر جواب نظمي له قائلا :

حميد بن عبد الله يا أكرم الصحب : أتنا سؤال منك أعلى من الشهب

لقد ضاء في الآفاق شرقا ومغربا : تحلى سموطا عن فرائدها تنبي

قلائد در يفضح الشمس نورها : مرصعة في السلك كالبرد الرطب

٥. ومن طلاب الشيخ المعروفين كذلك الشيخ الأديب هاشم بن عيسى الطائي ، وهو من أوائل المدرسين بمعهد القضاء – كلية العلوم الشرعية حاليا - .

٦. ومنهم الشيخ الأديب عيسى بن ثاني بن خلفان البكري وكان هذا الشيخ هو الكاتب الخاص للعلامة السلمي وساعده الأيمن في القضاء.

٧. ومنهم شاعر عمان الكبير الشيخ عبد الله بن علي الخليلي.

٨. ومنهم الشيخ النحوي الكبير الملقب بسيبويه عمان أبو يوسف حمدان بن خميس اليوسفي وهو الذي قال فيه الشيخ يمدحه :

يا من توقد منه الفكر أنوارا : فأشرق في رحاب الكون أقمارا

ومن غدا لمعاني العلم مبتكرا : كأنه عبده طوعا لما اختارا

ومن علا هامة الجوزاء مرتقيا : وذل القصد للرحمن سيارا

ومن تصدر للتدريس منتظما : يفيض من علمه الوهي أسرارا

ومن تدرع بالتقوى تراه إذا : جن الدجى قائما لله صبارا

وغيرهم كثير ، وهذا يدل دلالة واضحة على علو همة الشيخ وتوقد عزيمته وعطائه الذي لا يقف عند حد.

ثم إن الشيخ عُين مدرسا في مسجد الخور بمسقط مدة من الزمن ، فأقام حلقات العلم هناك ، وذلك في زمن السلطان سعيد بن تيمور ، ثم تقاعد ليلزم عبادة ربه والانقطاع لخدمته.

ومن لطف الشيخ أنه ربما داعب طلابه أحيانا ومازحهم ، وهي سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه ، ومن دعابات الشيخ أبي عبيد ما قاله وهو يجيب تلميذه موسى بن عيسى البكري حيث قال له :

جوابا كشمس الضحى أبلجا : يحل العويس ويمحو الدجى

لموسى الذي جاءنا ناظما : سموطا مرصعة زيرجا

ومن يقف موسى وآياته : تكون السماء له معرجا

ويبني بهاماتها معقلا : رفيعا به المجد قد توجا

وربما طعم أجوبته أحيانا بشيء من الإطراء والثناء المليح تشجيعا لطالبه وحثا له للسير قدما في مدارج العلم وتحصيله ، ومن ذلك قوله للشيخ سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي :

جوابا للفصيح أبي سلام : يرى منه المرشد والنجاحا

أتانا من سليمان نظام : يحلي أنجم الجوزا وشاحا

رويدك يا فصيح القطر هون : فقد أصبحت تقترح اقتراحا

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

ومن جهوده الإصلاحية أنه كان رحمه الله آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وهي سيرة كلمة الرجال وخيار الأمة ، فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستقيم أمر الأمة ويصلح حالها وبتركه يصيبها الويل والنكال وشتات الحال.

ومن ذلك ما ذكرته الفاضلة المقدمة على كتاب هداية الأحكام - وهي من أحفاد الشيخ - حيث قالت : " وقد كان كثير من الناس يصلون في الأودية ولا يذهبون للمساجد ، وعندما تولى القضاء منع ذلك ، وأمر الناس بالصلاة في المساجد فقط ، ونشر العساكر في الأودية يراقبون المتخاذلين عن المشي للمساجد ليخبروه عنهم فيستدعيهم ويأمرهم بالصلاة في المساجد بدل الأودية ، فضجت المساجد بالمصلين وعمرت بهم.

ولعل من أجمل ما يحكى عنه من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر تلك القصة التي حدثت معه أثناء سفره للحج ، عندما قابل في الباخرة رجلا باكستانيا مسلما حافظا للقرآن غير أنه ابتلي بشرب الدخان ، فكان كل ليلة يصعد إلى أعلى الباخرة لينفث دخانه ، فضائق ذلك أبا عبيد لما رأى في ذلك الرجل الفاضل من صلاح ، فذهب إليه في إحدى الليالي وسأله عن دخانه الذي يشربه أين هو ، فاستغرب الرجل لماذا يسأله أبو عبيد عن ذلك !! فطل منه أبو عبيد أن يحضره ففعل الرجل وهو في حيرة من أمره ، وبعد أن أحضره طلب منه أبو عبيد أن يشعل دخانه ففعل ، فأخرج أبو عبيد مصحفا كان يحمله داخل ثيابه وطلب من الباكستاني أن يقرب منه الدخان ، فسأله الرجل لماذا ؟! فقال أبو عبيد كي أبخر المصحف وأطيبه به ، فاستغفر الباكستاني من كلام أبي عبيد ، وسأله كيف يبخر كلام الله بهذا الدخان ؟! فقال له أبو عبيد ذلك ليس بغريب فأنت تفعل ذلك طوال الوقت ، تحضر هذا المصحف وتبخره بهذا الدخان السام المحرم ، فسأله الرجل : كيف ؟! فرد عليه بأن تحفظ كلام الله عن ظهر قلب في صدرك هذا ، ثم تبخره بهذا الدخان السام الذي تملأ به صدرك فتأرجح به القرآن ، فبكى الرجل واستغفر على ما كان منه وقرر ألا يعود للدخان مرة أخرى " ، وله رحمه الله مواقف كثيرة من هذا تدل على عظيم توقيره لحدود الله وتعظيمه لحرماته.

أخلاق الشيخ :

لقد كان لتلقيه العلم عن أكبر علماء عصره أثره على شخصيته ، فقد كان الشيخ مخبئا متخشعا خلوقا متواضعا كما تدل على ذلك عباراته ، ومن ذلك قوله في أول جواب أجاب به الأديب سعود بن سعيد القصابي حيث قال سعيد :

قطعت مماتها وطويت قفرا : وأودية وأنجادا ووعرا

وما أرب هناك سوى طلاي : منال العلم كي أزداد قدرا

فأجابه الشيخ بجواب يقطر عذوبة وتواضعا فقال :

لقد أتعبت نفسك يا سعود : بحيث قطعت أودية وقفرا

تحت لنحونا تلك المطايا : تجوب بها الفلا وعرا فوعرا

سرابا شمت تحسبه مياها : على خفي حنين رجعت صفرا

وعندما قال تلميذه الشيخ أبو سرور :

ألا يا ناقتي جدي وسيري : مسير العاديات على الهجير

إلى شيخ الشريعة من يرجى : لكشف المضلات من الأمور

سليل عبيد الخبر المرجى : لداهية عضال عنقفير

أجابه الشيخ أبو عبيد قائلا :

أغرك يا حميد بريق آل : بدا فحسبته لجج البحور

فأدليت الدلاء تريد ماء : فوافقت السراب بلا طهور

فأدلت وهي خالية هباء : كعطشى لم تجد عذب النير

أما والله ليس هناك شيء : بها تروي الغليل من الصدور

وإن تقنع بما عندي فخذ : بتوفيق من الملك القدير

ومن أخلاق الشيخ الرفيعة للعلم أنه كان إذا قريء عليه كتاب فإنه لا يتكئ ولا يغير جلسته ، وهذا من إجلاله للعلم وتعظيمه له.

انقطاعه للتبذل والعبادة :

بعد أن ترك الشيخ رحمة الله عليه مسجد الخور بمسقط انقطع للعبادة والتبذل ، وجعل الخلوة بالله أنس قلبه وبهجة روحه ، واستراح إلى الأذكار وتلاوة آيات الله في العشي والإبكار ، حتى لقي الله تعالى راضيا مرضيا ، وبعد حياة أفناها في العلم والعمل والإصلاح .

رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم :

حدث الشيخ سلام نجل العلامة أبي عبيد عن والده قوله : " رأيت كأنتي دخلت مجلسا مليئا بالناس مكتظا بهم ، وكان على رأس المجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أقول داخلي : ما أظن هؤلاء المحيطين به إلا الصحابة ، فوقفت مكاني فخطبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : يا نبي الله جئت أقصداك طالبا شفاعتك ، فسكت الرسول فترة طويلة ثم رد علي قائلا : " يا حمد أنت تقضيت والقضاء ليس بسهل " فأجبته : " يا رسول الله أجل تقضيت لكني لا أذكر أنني ظلمت أحدا ، أو أخطأت في حق أحد ، وأنا أستحق شفاعتك ، فكست النبي مرة أخرى فترة طويلة ، وقال لي حسنا قدر قبلت منك فتقرب مني ، فدخلت وتقربت خطوات فلم أجد من يفسح لي ، واحترت أين سأجلس ، فوقفت مكاني ، فناداني النبي بأن أتقرب أكثر ، فتقربت خطوتين ووقفت مكاني لأني لم أجد من يفسح لي ، والمكان مزحوم بالناس ، فطلب مني الرسول أن أقرب أكثر وتكرر ذلك حتى وجدت نفسي أمام الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة ، فقال لي : اجلس فجلست مقابلا له ، فمد الرسول عليه الصلاة والسلام قدميه وتحدث إلي ثم قال لي : ألا تريد شفاعتي ؟ خذ عرق من قدمي وامسح به قدميك ، فأخذت أغرف من ذلك العرق الغزير وامسح به قدمي اليمنى فاليسرى ، فما زلت كذلك حتى استيقظت من نومي .

ويكمل حديثه لابنه الشيخ سلام : فذهب لأخي منصور وطلبت منه تفسير الرؤيا وكان عالما بتفسيرها ، فقال لي : هذه بشرى لك يا حمد ، وذاك العرق ثبات لقدميك يوم القيامة بإذن الله " إ.هـ^١ وفاته رحمه الله :

توفي الشيخ أبو عبيد في يوم الجمعة الأغر ، في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة .

مات الشيخ جسدا ، غير أنه باق بعلمه وسيرته ، وذكرياته وعظاته ، وما تشهده مكتبته التي نهض بها أحفاده اليوم ، وعلى رأسهم المجد المجتهد أخونا أبو حمزة الشيخ عامر بن سعيد السليبي هو بلا شك عمل ستثقل به موازين الشيخ يوم القيامة إن شاء الله .

فرحم الله شيخنا وجزاه على ما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء وأثابه أحسن الثواب

^١ . انظر مقدمة كتاب هداية الحكماء ص ٣٩

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه محب العلم الشريف : مسعود بن محمد بن مسعود المقبالي الصحاري ، وكان الفراغ فجر يوم الخميس ٢٤ رذي
القعدة ١٤٤٦ هـ والحمد لله رب العالمين